

لا زلت مسجوناً؟

ينقل جوهرة المنابر الأخلاقية سماحة الشيخ حبيب الكاظمي دام عطاؤه جواب أحد جلسائه الذي يقيم في دولة أوروبية جواباً على سؤال الشيخ عن تأثير وجود النساء السافرات في كل مكان هناك .. أجابه ذلك الرجل الصالح لقد تجاوزنا هذه المرحلة قاصداً أنه خرج من سلطة الجسم إلى سلطة العقل الديني. وهذا هو الطبيعي لتكامل الإنسان في معارج القرب من الله تبارك وتعالى.

في درسه التفسيري نقل العلامة الحجة الفقيه السيد المنير دام طله رأي أستاذ الحوزة العلمية والمراجع والفقهاء الإمام السيد أبو القاسم الخوئي رضوان الله عليه وقدس سره الشريف عن قوله تبارك وتعالى: "اعْلَمُوا أَنزَمَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيِّنَاتٌ وَمِنَ الْأُمُورِ فِي الْأُمُورِ وَالْأَوَّلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا" وفي الآية الأخيرة عذابٌ شديدٌ ومَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (20)" (سورة الحديد) الذي ملخصه (مع نقل بعض عباراته دام طله) أن هذه الآية تقرر مراحل الحياة الدنيا بالنسبة للإنسان (1):

- المرحلة الأولى .. السبعة السنوات الأولى "لَعِبٌ"
- المرحلة الثانية .. السبعة السنوات الثانية "وَلَهْوٌ" سمتها تقديم الأشياء الثانوية على الأشياء الأولية.

- المرحلة الثالثة .. السبعة السنوات الثالثة "وَزِينَةٌ" وهي مرحلة المراهقة.
- المرحلة الرابعة .. السبعة السنوات الرابعة "وَتَفَاخُرٌ بَيِّنَاتٌ" وهي المرحلة التي يفكر الإنسان فيها أنه خاض تجربة - قد تستوعب عشرة سنوات عند البعض والبعض عشرين سنة .. كل بحسبه - يبدأ بالتفاخر بتجربته "أنا عندي شهادة دكتوراة .. أنا عندي شهادة ماجستير .. أنا أملك دكتور .. إلخ- وهذه مرحلة عمرية ضرورية يمر بها الإنسان.

- المرحلة الرابعة .. السبعة السنوات الخامسة "وَمِنَ الْأُمُورِ وَالْأَوَّلَادِ" .. هنا نظرية تسمى "مظرية امتداد الوجود" والتي يطرحها بعض علماء النفس مفادها أن الإنسان عندما يتجاوز الأربعين يشعر أن خطر الموت بدأ يعطلي مؤشرات أكثر من قبل فقبلاً كان يقول أنا لازلت في عمر الشباب ولكن بعد الأربعين يبدأ حديث الموت يأتي "أوه ما بقى شيء الي راح أكثر من الي بقي .. ايش أسوي؟" لأنه يفكر في الموت تأتية فكرة الإمتداد في الوجودي لما بعد الموت "أنا لا أريد وجودي ينتهي

مع الموت بل أريد لوجودي أن يبقى حتى بعد الموت" فنظرية الامتداد في الوجود تعني " وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ " لأنه يرى أولاده امتداداً لوجوده فلذلك يهتم بالأولاد في هذه المرحلة لأنهم امتداد لوجوده والأموال يبني بها كيان باسمه المهم أن يبقى اسمه موجود. فإذا الآية لا تهدف إلى ذم الدنيا كما نحن نفهمها , الآية تتحدث عن مراحل طبيعية يمر بها كل إنسان.

فمن الطبيعي أن ينتقل الإنسان من مرحلة إلى مرحلة والأهم أن ينتقل من مرحلة الزهو واللذائذ إلى مرحلة الرشد "حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ آلِي وَإِلَىٰ مَنْ أَعْمَلُ صَالِحًا تَرَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۚ إِنِّي تُبِيتُ لِلَّيْلِ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15)" (سورة الأحقاف) إلا أن الزمن الذي نعيشه غرقاً في أحوال المادة تسبب في تعرقل الكثير من القيم الإنسانية والدينية فأصبح الأغلب همه نفسه سواء لذة أو غيرها. لذلك نجد أن الإنسان في هذه العصر لا زال حبيس لذته فهو يخرج من لذة إلى لذة حتى يفاجئه الموت .. لأن الاسترسال صرعة خصوصاً إذا كان الداعي هي الشهوات.

فمتى نستيقظ؟

فهل أنا لازلت حبيس جسمي المادي ولم ألتفت للجانب السامي في كياني ألا وهو العقل والروح لأسمو بهذين الجناحين إلى مصاف الصالحين ثم إلى مصاف الأولياء ثم أدنوا ودنوا لعلني أكون على أعتاب أصفياء المعصومين ثم أنال المنى بالوقوف على باب المعصوم لأفوز بعدها بالدخول لحضرته على أشفار العيون؟ أم أن هذا ليس هدفاً سامياً خلقنا له .. "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)" (سورة الذاريات)

فما الحل؟

"إنَّ البعض لا يكاد يبالي بالمستحبات الواردة في الشريعة، وكأنها أمور هامشية لا ترتبط بحركة الحياة، والحال أن هذه الأعمال دخيلة في تصفية الذات، من خلال التوجه إلى مصدر كل فيض في الوجود، وحملها على مخالفة الشهوة التي لا تنتهي عند حد، وبالتالي شحذ عنصر الإرادة، ذلك العنصر الذي بفقدانه فقد الكثيرون سيطرتهم على زمام أمورهم، فأوقعهم -رغماً عنهم- في دوامات من التيه والتخبط"

